سؤال البينية في الخطاب التربوي المغربي الرسمي
دراسة في وثائق مرجعية

د. فضيل ناصري
مفتش التعليم الثانوي التأهيلي لمادة اللغة العربية
بأكاديمية العيون الساقية الحمراء

ملخص:

تتداخل المجالات المعرفية وتتكامل فيما بينها، بحيث يصعب الفصل بينها بشكل حاد، إذ تتشابك وتتغذى من بعضها لبناء معرفة كونية شاملة. وقد أدرك علماء كثيرون هذه الحقيقة ومارسوها، فكان العالم الموسوعي يساهم في عدة فروع معرفية في آن واحد. وينعكس هذا التكامل أيضا على المعارف المدرسية المنقولة ديداكتيكيا، مما يفرض على القائمين على التربية إدراكه وتجسيده في الوثائق الرسمية والتوجهات التربوية. لذلك تسعى هذه المقالة إلى فحص حضور مبدأ تكامل العلوم في تلك الوثائق، وقياس وعي الفاعلين التربويين بأهميته في تطوير التعليم.

الكلمات المفاتيح: البينية، تكامل العلوم، الخطاب التربوي المغربي الرسمي، الدراسة، الوثائق المرجعية.

Abstract :

Fields of knowledge overlap and integrate with one another, making it difficult to draw sharp boundaries between them; they interconnect and draw from each other to build a comprehensive, universal body of knowledge. Many scholars have recognized and practiced this reality, as the polymath contributed to several branches of knowledge at the same time. This integration is also reflected in school knowledge transmitted didactically, which requires those responsible for education to recognize it and embody it in official documents and pedagogical guidelines. Therefore, this article seeks to examine the presence of the principle of the integration of sciences in these documents and to assess the awareness of educational stakeholders of its importance in improving education.

Keywords : interdisciplinarity, integration of sciences, official Moroccan educational discourse, study, reference documents.

مقدمة:

لا ريب في أن الحقول المعرفية بالرغم من تشعبها، وتناسل المجالات والتخصصات الدقيقة فيها، تتداخل وتتكامل، وتنعقد بينها علاقات بينية يعسُر معها القول إن الحدود بين التخصصات هي حدود حقيقية فاصلة بينها فصلا حدّيا يقطع بعضها عن البعض الآخر. لا، إن المجالات المعرفية تتشابك، ويتزوّد بعضها من بعض، لأجل بناء معرفة كلية يصح أن نخلع عليها توصيف المعرفة الكونية الإنسانية.

وقد تنبه لحقيقة تكامل العلوم وتداخل المعارف كثير من العلماء والباحثين في التّداولَيْن العربي الإسلامي والغربي، وقد مارسه هؤلاء وهؤلاء، إلى الدرجة التي تُلْفي فيها العالم الواحد الموسوعي "المشارك" وقد ضرب له بسهم، في الآن نفسه، في الفلسفة والكلام وعلم الأحياء واللغة والطب وغيرها.

وإذا كانت حقيقة المعارف في بعدها التخصصي الأكاديمي كما وصفنا، فإنه يجري على المعارف المدرسية المنبثقة عنها عبر آلية التحويل الديداكتيكي ما يجري عليها، فتتساوق معها ولا تشُذّ عنها. وهذا ما يجب أن يفطن إليه القائمون على تدبير قطاع التربية الوطنية ببلادنا، فطنة يُفترض أن تنعكس في ما يصدر من وثائق رسمية مرجعية من الوزارة الوصية؛ كالكتاب الأبيض، والميثاق الوطني للتربية والتكوين، والرؤية الاستراتيجية، ووثائق البرامج والتوجهات التربوية الخاصة بكل مادة، والقانون الإطار، وانتهاء بالوثائق المؤطرة لمشروع الريادة في كل من السلكين الابتدائي والإعدادي.

ولأجل ذلك سنفرد مقالتنا هاته لتمحيص سؤال البينية وتكامل العلوم و"استعراضها" و"امتدادها" في الوثائق الرسمية المؤطرة للتربية في بلادنا، محاولين تِبيان درجة حضوره فيها، بما يستتبع في المحصّلة الأخيرة سبر وعي المدبرين التربويين به وبأهميته مدخلا في النهوض بالتربية والتعليم، وتخليصه مما ران عليه من أزمات واختلالات تفاقمت وعمّرت طويلا، وعجزت الإصلاحات المتتالية عن معالجتها.

ولا غرو أن القيام بدراسة كاسحة ماسحة لجميع الوثائق الرسمية المرجعية هو طِلْبَة عزيزة، لا ندّعي الاقتدار عليها بحُسْباننا باحثا فردا، وإنما الذي يستطيع الاضطلاع بها على أكمل وجه هو فرق ومجموعات البحث مختلفة التخصصات والمشارب الفكرية.

وعليه فلا مناص لنا، وبالنظر إلى حجم الدراسة وسقفها المتوقّعيْن، من اعتماد آليتيْ الانتقاء والاستبعاد، نقصر بهما نظرنا على بعض الوثائق، وحسْبُنا ذلك، متجاوزين وثائق أخرى إلى دراسات مطوّلة أو مشتركة في ما يُستقبل تتيح التناول الكلي.

البينية؛ إضاءات في المفهوم:

ينهض مفهوم البينية في العلوم والمعارف والتخصصات على كفاية استيعابية ثرّة جدا، بالنظر إلى كونه مفهوما ممتدا، ورحّالا، ومهيمنا، وخُلّبا يأنس به العلماء والمفكرون ونَقَدة المعرفة والدارسون، وما جاذبيته سوى من "الطّنين المعجِب" الذي يتركه في الأسماع إذا قرعها.

ومن أمارات حضور التوصيفات التي خلعناها على مفهوم البينية، محاقلتُه غيرَه من المفاهيم ودخولُه في علاقات يطبعها التبادل والترادف وحتى التطابق في كثير من السياقات والاستعمالات. وهي علاقات وإن كانت تصبُغ المفهوم بصبغة الغنى والثراء، كما أومأنا إلى ذلك في ما تقدّم، فإنها قد تشوّش المفهوم في الأبعاد العالمة، وتُلبّس على غير المختصين. وأما ازدياد التشويش والغموض كلما اتجهنا صوب الأبعاد التربوية والمعارف المدرسية والتفاعلات الصفية المحكومة بشروط التحويل الديداكتيكي، فيظلّ من باب أولى، إذا لم يتحلّ الفاعل التربوي، في جميع المواقع، بالكفاية العلمية والمنهجية اللازمة.

وحتى لا نستطرد في جدلية الغموض والتجلي التي تكتنف مفهوم البينية، تكفينا الإيماءة الخاطفة القاصدة، وحسبُنا من القلادة ما أحاط بالعنق. ويجمُل بنا أن نشير بدءا وقبل جرد بعض المفاهيم المجاورة للبينية والمحاقلة لها وتعريفاتها إلى أن التكامل / البينية هو كنه المعرفة الإنسانية الكوسمولوجية، وهذه حقيقة وتحصيل أمر حاصل، لا يخاصم التخصصات الأحادية والدقيقة[1].

فالبينية بما هي "جمع بين اثنين أو أكثر من مجالات المعرفة"[2]، يدعوها البعض **"تجمّع تخصصات"** **Pluridisciplinarité** وهو ذلك " التناسق والترابط بين عناصر المنهج، بما يقدمه من محاور معرفية وأنشطة تعليمية وأساليب منظمة ومخطّطة تسعى إلى تنمية شخصية الفرد المتعلم"[3]، وهي **"ربط" و"تفاعل" و"عبور" و"تضافر"** بين فروع

[1]-ناصري، فَضيل، البينية أفقا لتدريس ناجع؛ دراسة نظرية تطبيقية، في مجلة ريناد، [ع.15]، يونيو 2025م، ص.319.

[2]-https// Dictionary.cambridge.org/ dictionary/ english / interdisciplinary.

[3]- فلية، فاروق عبده، والزكي أحمد عبد الفتاح، معجم مصطلحات التربية لفظا واصطلاحا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، [د.ط]، 2004م، ص.71.

المعرفة، وضمنها المعارف المدرسية[4]، وإذا ما استثمر الأستاذ البينية استثمارا حسنا، اقتدر على بنائها لدى التلميذ، بما يستتبع قدرة هذا الأخير على توظيف تعلماته السابقة التي تبدو في ظاهرها منفصلة، ولكنها في الحقيقة تتواشج وتتقاطع بمقتضى ناموس التكامل الذي يحكم المعرفة في بعدها العام، ويحكم الوحدات والمواد الدراسية في بعدها الخاص.

وقبل أن نجوز إلى تناول قضية حضور وغياب سؤال البينية والتكامل بالدرس والتحليل في بعض الوثائق الرسمية المغربية، نومئ إلى أن المفاهيم التي تدخل في علاقات محاقَلة ومجاوَرة مع مفهوم البينية جمّة كثيرة، أوردنا بعضها في الذي تقدّم، ونقترح من لدنّا التعريف الإجرائي الآتي قائلين إن البينية في بعدها التربوي:" نظام يتأسس على إنعام النظر في ما ينبت من أواصر بين المواد الدراسية، واستثمارها استثمارا جيدا لأجل الإبلاغ وإفهام المتعلمين، بما يبني التعلم الذاتي لديهم ويُقْدرهم على مواجهة مختلف المشكلات التعليمية"[5] بنجاح.

البينية في الوثائق الرسمية؛ سؤال الحضوروالغياب:

أ)- في التوجهات التربوية:

بدءا يحسُن بنا أن نشير إلى أننا سنسلط الضوء في هذا المطلب وسنقصُره على الخطاب الداعي إلى البينية بين المواد، المؤيّد إياها، في وثائق التوجهات التربوية والبرامج الخاصة بمواد اللغة العربية والتربية الإسلامية والتوثيق والفلسفة والتاريخ والجغرافيا والترجمة في السلك التأهيلي، متجاوزين مواد أخرى موثِرين الإيجاز والاقتضاب اللّذيْن يفرضهما سقف هذه الدراسة ويحكم بهما حجمها.

ففيما يتصل بمادة اللغة العربية يُلفي المتأمّل في توجهاتها التربوية مستويات مختلفة للبينية والتّكامل؛ إذ منها ما يمتّ بسبب إلى بينية بين المؤسسة التعليمية وبين فضائها الاجتماعي والاقتصادي الحاضن إياها، وهو ما نبزته "تجسيرا لعلاقات التفاعل والانفتاح بين المدرسة ومحيطها السوسيو اقتصادي"[6]، وهو مستوى وإن كان يحوز وضعا اعتباريا خاصا لدى الفاعلين التربويين والسياسيين ولدى فئات المجتمع ولدينا أيضا، فإنه ليس طِلبتَنا الأساسية.

---

[4]- Dictionary.cambridge , Op.Cit.

[5]- ناصري، فَضيل، مذكور، ص.321.

[6]- التوجهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة اللغة العربية بسلك التعليم الثانوي التأهيلي، وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي، نونبر 2007م، ص.1.

ومنها ما يتحدّث عن أواصر الارتباط بين التعليم الثانوي الإعدادي والتعليم الثانوي التأهيلي وبين المسالك والشعب داخل كل مرحلة منهما[7]، وهو ما يمكننا أن ندعوه **"تكاملا/ بينية بين الأسلاك"**. ومستوى ثالث نزعت فيه وثيقة التوجيهات التربوية، وفي غير ما موضع منها، إلى الحديث عن البينية المنعقدة بين المواد الدراسية، وهي التي تُهِمّنا، إذ ذهبت إلى أن **"ربط الجسور بين مختلف المواد"** يُعْدي على "تطوير تمكّن المتعلم من الكفايات والقيم معرفيا وأدائيا"[8]، الشيء الذي يجعله [أي المتعلم] مالكا آليات قراءة النصوص [كل النصوص][9] وفهمها وتحليلها وتقويمها[10] ويجعل مادة اللغة العربية ممتدة في مختلف مكونات القطب[11]، وهذا ما أكّده دليل الدخول المدرسي لموسم 2008/ 2009 الذي جاء بمفهوم جديد طريف جدير بالتفعيل في كافة الأبعاد لا في بعده الضيق؛ بعدِ تدبير الموارد البشرية وسد الخصاص فحسب، ونعني مفهوم "**المواد المتقاربة**"[12].

وأما رابع مستويات البينية والتكامل الذي ورد في وثيقة التوجيهات التربوية الخاصة باللغة العربية في السلك الثانوي التأهيلي، فهو ما يمكننا أن ندعوه **"بينية داخلية"**، وينصرف التكامل بموجبها إلى العلاقات والوشائج النابتة بين مكونات مادة اللغة العربية، وفيها هي الأخرى مستويان اثنان؛ أحدهما يُهِمّ مكونات المادة في ما بينها، إذ تشير الوثيقة في مبادئ اختيار مضامين برنامج السنة الثانية باكالوريا إلى ضرورة "الحرص على تكامل المكونات المشكّلة للبرنامج، واستثمار معطياتها أثناء تلقي النصوص أو إنتاجها"[13]، كما تلح على ضرورة ربط المهارات المقررة في مكون التعبير والإنشاء بمكونيْ النصوص وعلوم اللغة[14]. ويتعلق ثاني مستويات البينية الداخلية بمكون التعبير والإنشاء من حيث مراحله وحصصه المؤطّرة بأحياز وأوعية زمنية محددة، وذلك لما أكّدت الوثيقة "طابع التكامل بين أنشطة الاكتساب والتطبيق والإنتاج"[15].

وإذا كنا قد بدأنا باللغة العربية، فإننا سنثنّي بمادة التربية الإسلامية، وما ذلك سوى وعيٍ منا بأن اللغة العربية مدخل مركزي في فهم قصود الشارع تعالى المتضمّنة في النصوص الشرعية؛ قرآنا وسنة، وعملٍ في الآن نفسه بمقتضى

---

[7]- نفسه، ص.14.

[8]-التوجهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة اللغة العربية بسلك التعليم الثانوي التأهيلي، مذكور، ص.5.

[9]- سواء كانت جغرافية أو تاريخية أو شرعية أو سياسية أو حتى فواتير وبيانات إدارية؛ إذ وعي التلميذ بالبينية واستثماره إياها يعبُر به إلى هذه الآفاق فلا يقف عند حدود النص الأدبي المقرر في مادة اللغة العربية.

[10]- التوجهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة اللغة العربية بسلك التعليم الثانوي التأهيلي، مذكور، ص. 31.

[11]- نفسه، ص.26.

[12] - وقد صنّف المواد المتقاربة إلى مجموعات ثلاث هي: (اللغة العربية والتربية الإسلامية والتاريخ والجغرافيا والفلسفة بحُسبانها مجموعة أولى، والرياضيات والفيزياء والكيمياء والتكنولوجيا والمعلوميات مجموعة ثانية، والفيزياء والكيمياء وعلوم الحياة والأرض والتربية الأسرية بوصفها مجموعة ثالثة) انظر: دليل تحضير وإجراء الدخول التربوي 2009/2008م، مديرية الاستراتيجية والإحصاء والتخطيط، وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي، ص. 13، 14.

[13]- التوجهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة اللغة العربية بسلك التعليم الثانوي التأهيلي، مذكور، ص.49.

[14]- نفسه، ص.27.

[15]- نفسه، ص.27.

القاعدة الفقهية "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب". ولا حاجة بنا إلى شرح أهمية اللغة العربية لدى كل من ينبري للفقه أو الحديث أو تفسير القرآن الكريم، أو حتى الوعظ والإرشاد في حدوده الدنيا والمنصرف إلى عامة الناس.

إن وثيقة التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة التربية الإسلامية بسلك التعليم الثانوي التأهيلي لا تشذّ عن صنوتها الخاصة باللغة العربية؛ إذ تتوزع الوثيقةَ الأبعاد نفسها التي أومأت إليها وثيقة مادة اللغة العربية.

إن التوجيهات التربوية الخاصة بالتربية الإسلامية ما انفكّت تتحدث، وفي غير ما موضع منها، على تكامل التربية الإسلامية مع غيرها من المواد الدراسية، وبخاصة منها تلك التي تنسلك في دائرة الإنسانيات؛ كاللغة العربية والفلسفة وغيرها مما يدرّس باللغة العربية. فهي تدعو إلى "اعتماد مبدأ التنسيق والتكامل بين مختلف المواد"[16] لتشييد متعلم بمواصفات التخرّج المطلوبة مع إلحاح ملحوظ من مدبجي الوثيقة على مراعاة خصوصية المادة يكاد يعصف بالتكامل المنشود.

ويُحمَد لوثيقة التربية الإسلامية دعوتها إلى تفعيل البينية بين وحدات سلك الباكالوريا والأسلاك السابقة، وتضيف إليها ضرورة مراعاة هذا التكامل بين الأسلاك المومإ إليها والتعليم العالي[17]، بحُسبانه متوّجا لبناء تكويني تراكمي بدأ منذ التعليم الأساسي.

وغير بعيد من مادة التربية الإسلامية، تنزع وثيقة مادة التوثيق بالتعليم الثانوي الأصيل إلى النظر إلى درس التوثيق بوصفه نشاطا ممتدا في موادَّ دراسية أخرى، يقصد إلى تنمية جملة كفايات معرفية ومنهجية[18] لا يحسُن بالتلميذ جهلُها. وهذا المنزع، منزع التكامل والبينية بين المواد الدراسية في الثانوي التأهيلي، هو نفسه الذي يتغياه منهاج مادة الترجمة[19].

وإذا قرّ في أذهان الناس أن محبة الحكمة / الفلسفة تعدّ في بعدها الأكاديمي المعرفي أمّا للعلوم جميعِها وتجسّد بذلك أحد أبهى أوجه التكامل بين المعارف والتخصصات، فإنها في بعدها التربوي التعليمي لا تشتطّ من هذه الغاية النبيلة،

---

[16]-التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة التربية الإسلامية بسلك التعليم الثانوي التأهيلي، وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي، نونبر 2007، ص.2، 3،4،5.

[17]- نفسه، ص.31.

[18]- التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة التوثيق بالتعليم الثانوي التأهيلي الأصيل، وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي، نونبر 2007م، ص.13.

[19]- التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة الترجمة بسلك البكالوريا، وزارة التربية الوطنية والتعليم لعالي وتكوين الأطر والبحث العلمي، نونبر 2007م، ص.8.

إذ تتفاعل تفاعلا إيجابيا مخْصِبا مع غيرها من المواد الدراسية المقررة في التعليم الثانوي التأهيلي، وتتكامل معها في بناء التكوين الفكري والمنهجي للتلاميذ، بما يمكّنهم من امتلاك النظرة الناقدة والتركيبية المحاوِرة للمعارف والآراء التي يتلقونها[20].

لقد أفلح، بنظرنا، مدبجو وثيقة التوجيهات التربوية الخاصة بمادة الفلسفة في البصرِ بما يعتمل بين الفلسفات والتداولات الكونية من تداخل وتكامل في مستوى المفاهيم والتصورات هما مخّ الفكر الإنساني[21]، لا يحسُن معه عزل الفكر الإسلامي عنه، بحُسبانه رافدا من روافده، يقترح إسهامه معرفيا وتربويا ويبني لدى التلاميذ فكرا قوامه الاعتدال والتوسط ومحاورة الآخر المختلف واحترامه.

وإذا علمنا أن المدبرين الإداريين في الأكاديميات الجهوية والمديريات الإقليمية يعمدون إلى إسناد تدريس مادتيْ الفلسفة والتاريخ والجغرافيا إلى أساتذتهما كلما حصل خصاص في إحداهما، حزرنا أنهم يعملون بمبدأ التآخي والتقارب والجوار الناشئ بينهما[22].

ب)- في الرؤية الاستراتيجية والقانون الإطار:

لا يخفى على كل مهتم بنظام التعليم في المغرب أن الرؤية الاستراتيجية بحُسبانها رؤية للإصلاح جاءت لمعالجة الاختلالات البنيوية الكثيرة التي تعتري المدرسة المغربية، وتعرّيها في الآن نفسه إذا ما نظرنا إلى مُخرجاتها، وملامح المتخرجين فيها ومواصفاتهم التي هي دون الحد الأدنى المطلوب في بلدان أخرى استقلت مع المملكة المغربية في التاريخ نفسه، أو حتى التي حصلت على استقلالها بُعيد تحرّر المغرب من نير الاستعمار أو بعده بكثير.

لا ريب إذن في أن الرؤية الاستراتيجية تحمل آمالا عِراضا في غد أفضل للمدرسة المغربية بوصفها "تقع في صلب المشروع المجتمعي" ويؤمَّل منها "تكوين مواطني الغد، وتحقيق أهداف التنمية البشرية والمستدامة، وضمان الحق في التربية" لجميع أبناء المغاربة[23]. ومن تجلّيات الآمال العريضة المعلقة على الرؤية الاستراتيجية ما تردّد فيها وفي القانون الإطار 17-

[20]- التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة الفلسفة بسلك التعليم الثانوي التأهيلي، وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي، نونبر 2007م، ص.3، 8، 19.

[21]- التوجيهات االتربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة الفلسفة بسلك التعليم الثانوي التأهيلي، مذكور، ص.4، 6.

[22]- التوجيهات االتربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادتي التاريخ والجغرافيا بسلك التعليم الثانوي التأهيلي، وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي، نونبر 2007م، ص.3.

[23]- من أجل مدرسة للإنصاف والجودة والارتقاء، رؤية استراتيجية للإصلاح 2015-2030، المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، ص.5.

51 من شعارات ومبادئ كبيرة، من قبيل: "الإنصاف، وتكافؤ الفرص، والارتقاء بالفرد والمجتمع"[24]، وهي شعارات تجعل المرء يهفو إليها، ويتطلع إلى مدرسة جديدة تُحقّقُها.

ويُحمَد لوثيقة الرؤية الاستراتيجية وعيها بالمكانة المركزية للفصل الدراسي في أي إصلاح، فهو "النواة الأساس"[25] التي يعسُر القفز عليها وتهميشها. ولأننا نوقن إيقانا جازما أن لإصلاح منظومة التربية والتعليم في بلادنا مداخلَ مختلفةً، منها، بنظرنا، استثمار البينية الحاصلة بين المواد الدراسية، لأن هدرها يفوّت على المدرسة المغربية وعلى المملكة المغربية بالتّبع فرص النهوض واللحاق بركب الأمم المتقدّمة.

ولأجل الذي ذكرناه في ما تقدّم، فإننا سنقصُر نظرنا في هذا المطلب على الخطاب المؤيّد للبينية بين المواد والتخصصات في كل من وثيقتيْ الرؤية الاستراتيجية والقانون الإطار، ممحّصينه مبرزين وعي كَتَبة الوثيقتين بأهمية استثمار البينية في تخليص منظومتنا التربوية مما ران عليها من ركود وتدهور ومما علِق بها من أدران الاكتفاء بتَرداد الشعارات البراقة الطّنانة.

إن الممعن نظره المنعِم إياه في الرؤية الاستراتيجية وفي القانون الإطار ليسجل باطمئنان كبير مجموعة من النقط المشرقة التي ستسهم في القطع مع تأخر المنظومة التربوية المغربية إذا ما تم تنزيلها تنزيلا حسنا، نوردها أدناه بإيجاز واقتضاب قاصدين:

*إن التردّد في معالجة "الإشكاليات العرضانية"[26] والتي ليست سوى التداخل الحاصل بين المواد الدراسية والتخصصات ليُعدّ اختلالا كبيرا يحول دون تطور المدرسة والمتعلم المغربيين بحسْب تقرير الهيئة الوطنية للتقييم الصادر سنة 2014م.

*إن تفعيل التكامل بين الأسلاك التعليمية جميعِها يقتضي الانفتاح على التجارب الدولية الناجحة والاستئناس بها[27]، والاستمداد منها بحسْب ما يناسب البيئة المغربية.

---

[24]- نفسه، ص.9.

[25]- نفسه، ص.8.

[26]- من أجل مدرسة للإنصاف والجودة والارتقاء، رؤية استراتيجية للإصلاح 2015-2030، مذكور، ص.5.

[27]- نفسه، ص.32.

* إن حديث الوثيقتين كلتيهما عن البينية والتكامل يعدّ، بنظرنا، خطابا نزّاعا إلى المزاوجة بين التعميم الذي فيه إخلال وتعمية وهذه مثلبة فيهما، وبين الخطاب الذي فيه بعض الوضوح وهذه محمَدة؛ فمما نستدل به للنوع الأول الذي لا يخرج منه قارئه بطائل بالنظر إلى أنه لا يجيب عن سؤال الكيف: "بناء مواطن ذي تكوين متكامل ومتجانس بين تحصيل وبناء المعارف، وامتلاك الكفايات والمهارات، وفن الحياة والعيش المشترك، وتعلم واكتساب الخبرة"[28].

* إن في الوثيقتين كلتيهما بالرغم مما شابهما من التعميم الملغِز الملبِّس خطابا ينحو صوب الوضوح المطلوب، وبخاصة لدى حديثهما عن مستويين اثنين مطلوبين في تنزيل التداخل في الفضاءات التربوية هما: مستوى البينية الداخلية، أي تلك الحاصلة بين مواد كل سلك، ومستوى البنية الخارجية وهي تلك التي تخصّ ما ينعقد بين الأسلاك وهو مستوى أول في البينية الخارجية، والتي تخص ما ينعقد بين المؤسسة التعليمية بجميع أسلاكها وبين المحيط المجتمعي والاقتصادي الحاضن لها وهذا مستوى ثان في البينية الخارجية. ومما نستدل به للبينية الداخلية في الوثيقتين نورد الآتي: ("اعتماد آليات لمأسسة الجسور والتكامل بين المسالك والتخصصات في التعليم الجامعي"[29]، وهذا ما نبزته الوثيقة "أسّا مشتركا لكل طور"[30]، ومما يَسنُد البينية الداخلية في الرؤية الاستراتيجية حديثها عن "منهاج مندمج(...) يقوم على مبدأ تفاعل المواد والمعارف وتكامل التخصصات"[31]، وعلى مبادئ "التنسيق والتنوع والتكامل"[32]). وأما ما يتصل بالمستوى الثاني في البينية الخارجية فيمكننا أن نحصره في حديث القانون الإطار عن "تقوية الجسور بين التكوين المهني والنسيج الاقتصادي"[33].

هذا مجمل ما ورد من أدلة قولية مكتوبة في الخطاب المؤيّد لاستثمار البينية والتداخل الحاصلين بين العلوم والتخصصات وبين المواد والوحدات الدراسية، وهو، بنظرنا، غير كافٍ، ولا يدل دلالة واضحة على جدية القيّمين على الشأن التعليمي في المغرب في العمل بتداخل المواد والتخصصات المدرسية لأجل النهوض بمستويات التلاميذ المغاربة.

---

[28]- نفسه، ص.9، فهذا بنظرنا شعار عام لا يمَسّ التكامل الذي يجب أن يحصل بين المواد، وبين مكونات المادة الواحدة نفسها!!

[29]- من أجل مدرسة للإنصاف والجودة والارتقاء، رؤية استراتيجية للإصلاح 2015-2030، مذكور، ص.30.

[30]-نفسه، ص.31.

[31]-نفسه، ص.31، 32.

[32]-قانون - إطار رقم 17-51 يتعلق بمنظومة التربية والتكوين والبحث العلمي، المادة 15، وهو قانون دخل حيز التنفيذ بدءا من 19 غشت 2019، تاريخ نشره في الجريدة الرسمية.

[33]-نفسه، المادة 10.

ج)- في الوثائق الرسمية المؤطرة لمشروع إعداديات الريادة:

يقدّم الخطاب الرسمي لوزارة التربية الوطنية مشروع الريادة في كل من السلك الابتدائي والإعدادي بحُسبانه نموذجا بيداغوجيا جديدا في المملكة المغربية[34]. كما يسوّق الخطابُ نفسُه في مذكراته، وفي مواد التكوينات التي تشرف عليها فرق مركزية جملة أسباب تجعل القطع الجزئي أو الكلي مع النماذج السابقة واعتماد "الريادة" أمرا سائغا مقبولا؛ وأهمها بنظرنا:

*محاربة التسرب المدرسي الذي تغادر بسببه فئات عريضة من التلاميذ المغاربة المؤسسة التعليمية مبكرا وقبل إتمام المرحلة الأساسية من التعليم.

* النهوض بالكفايات الأساس لدى المتعلمين، وتحسين رتبة المملكة المغربية في التقويمات الدولية[35].

وهذان سببان معقولان، بنظرنا، يدفعان الوزارة الوصية على قطاع التربية والتعليم إلى التفكير الجدي والعملي في القيام من كبوة عمّرت طويلا تقدّمتها كبوات تتالت وأثّرت سلبا على مخرجات النظام التربوي ببلادنا.

ونومئ إلى أننا لن نتناول في مقالتنا هاته سوى ما يتعلق بالخطاب المؤيّد لتداخل المواد والتخصصات في مشروع الريادة، وبخاصة ما متّ منه بصلة إلى مادة اللغة العربية في السلك الإعداي. وما قصرُنا الدراسةَ على موضوع "البينية بين المواد والتخصصات" سوى من التزامنا المنهجي بعنوانها الذي يلخّص مضمونها، ومن اقتناعنا بأنها [أي البينية] مدخل من مداخل الإصلاح، يقع المدبرون في محذور/ محظور هدره كلّما تأخروا في الالتفات إليه والعمل به.

وقبل أن نُشرّح حضور البينية في خطاب الوثائق التربوية الرسمية المؤطرة لمشروع إعداديات الريادة، يجمل بنا أن نشير إلى آلية مركزية ترفد الوعي بالبينية، وتُذْكيها لدى الممارس إياها، كيفما كان موقعه في نظام التعليم بالمغرب، ونعني القراءة الحرة. فالأستاذ في الجامعة، وفي الثانوي التأهيلي، وفي الإعدادي، وفي الابتدائي، وحتى المربون في التعليم الأولي مدعوون بموجب ما ينبرون له من تدريس وتربية إلى أن يكونوا قراء نهمين، يحثون طلبتهم وتلامذتهم بطريق القدوة العملية على حب المطالعة والاستكشاف.

---

[34]- أي نعم هو جديد في المملكة المغربية، لأن أو صياغة رسمية لهذا النموذج التربوي ترتدّ إلى المقالة التي دبّجها كل من روزنشتاين Rosenshine، وستيفنس Stevens سنة 1986م.

[35]-بالرغم من أن التدريس الصريح، وهو مرحلة تعقُب التدريس وفق المستوى المناسب في مشروع الريادة قد يقتل التعلم الذاتي ولا يطوّر كفايات التلاميذ:
«L'enseignement explicite ne permettrait pas le développement des compétences », Voir : Marie Boquillon, Clermont Gautier, Stève Bissonette, A.Derobertmasure, Enseignement explicite et devloppement des compétences: antinomie ou necessité?, http://dx.doi.org,2020, p.3.

ولا ريب، بنظرنا، أن ضعف القراءة الحرة وتراجعها المهُول لدى الناشئة ولدى فئة عريضة من أساتذتهم يُثبّط الوعي بما بين المواد والتخصصات من تداخل وتكامل. وما لم تفلح مؤسساتنا التربوية وإعلامنا في زرع حب القراءة في النشء وفي عموم الناس، سنظل نتلكّأ ونراوح مكاننا الذي لا نحسد عليه. وهذا ما تفطّنت إليه كثير من التقارير الرسمية[36].

إن المتتبع لمشروع الريادة في مرحلتيْ التجريب والتوسيع ليجزم أن ما رافقه من المذكرات الوزارية والتقارير كثير جدا. وهي كثرة خُلَّب تدفع هذا المتتبع إلى أن الاعتقاد أنها كثرة تستجيب لجميع الأسئلة البحثية الحارقة، وضمنها سؤال البينية والتداخل، وسرعان ما يخيب أفق انتظاره عند مباشرة قراءة وتحليل سيل المذكرات، إذ لا يظفر فيها ومنها سوى بالنّزر اليسير.

ويُهِمّنا من المذكّرات الجمّة التي صدرت تَتْرى ما يتعلق منها بالتقويم التربوي في إعداديات الريادة، وذلك بالنظر إلى أهميته غير المنكرة، وتخمينا منا أنه، ولأجل أن يكون حقيقيا وموضوعيا، سيحتفل ضرورة وحتما بالكفايات الممتدة في المواد وعبرها.

فأما المذكرة الوزارية التي رقمها 25×002 فعَرضت، باحتشام، للبينية الحاصلة بين المواد؛ إذ أومأت إلى ضرورة تحرّي المهارات العرضانية وتنميتها في الأنشطة الموازية، وبخاصة منها تلك النفسية والاجتماعية[37]، وهذا وإن كان مهما، فإن تحري البينية واستثمارها في الدروس المقررة المنجزة داخل الفصول الدراسية أولى منه في الأنشطة الموازية.

ويُحْمَد للمذكرة المشار إليها حديثها عن إجراءات تقييم الكفايات العلمية الممتدة والمشتركة بين مادّتي الفيزياء والكيمياء وعلوم الحياة والأرض[38]، وإذا صحّ منا أن نتحدّث عن المحامد، فيحق لنا أن نقرر أن من المثالب الكبرى للمذكرة الوزارية رقم 25×031 عدمَ حديثها عن البينية والتكامل بين المواد[39]، خاصة وهي تتّخذ الامتحان الجهوي لنيل شهادة السلك الإعدادي بإعداديات الريادة موضوعا لها.

وفي ارتباط بمشروع الريادة الذي انتقل هذا الموسم من التّجريب إلى التوسيع، صدر تقرير المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، بحُسبانه مؤسسة استشارية وشريكة في توجيه السياسات العمومية ذات الصلة بقطاع

---

[36]-انظر: التقييم الخارجي للمرحلة التجريبية لمشروع "المدارس الرائدة"، تقرير تقييمي (ملخص)، المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، 2024م، ص.9.

[37]-المذكرة الوزارية رقم 25×002 في شأن تأطير وتتبع إجراءات التقييم التربوي بإعداديات الريادة برسم السنة الدراسية 2025/2024 بتاريخ 3 يناير 2025م.

[38]-نفسه، ص.10،11.

[39]-المذكرة الوزارية رقم 25×031 موضوعها الإطار المرجعي لإعداديات الريادة لاختبار اللغة العربية للامتحان الجهوي الموحد لنيل شهادة السلك الإعدادي، بتاريخ 23 ماي 2025م.

التعليم، وإمدادها بالمقترحات والبدائل العملية التي تسعف في تطوير المنظومة التربوية. وهو تقرير شمولي، نقصر نظرنا منه على ما يتناول البينية بمختلف أبعادها.

ونلحَظ من خلال قراءتنا التقرير أنه جعل البينية بينيتيْن اثنتين هما:

أ)- بينية تتعلق بتداخل مكونات المنظومة وأسلاكها: ودعا في هذا المستوى إلى ضرورة استحضار الرؤية الاستراتيجية (التصدير والرافعات1، و5، و12، و13، و14، و16، و17، و18، و19، و20) وكذا القانون الإطار وبخاصة منه مواده (3، و4، و27، و30، و31، و32، و33، و34، و35)، وهما وثيقتان تراهنان على اعتماد النموذج البيداغوجي الجديد المتأسّس على رؤية شمولية لا تُغفل "العلاقات التفاعلية بين عناصره، وتضمن انسجامه الداخلي والخارجي (...)و[تتغيا] إرساء الجسور بين مكونات منظومة التربية والتكوين" بما يمكّن المتعلمين في المحصلة الأخيرة من متابعة مساراتهم الدراسية بنجاح[40].

وفي المستوى نفسه، مستوى تداخل مكونات المنظومة وأسلاكها، نبّه التقرير إلى أن هناك إشكالاتٍ حقيقيةً تمَسّ ما يجب أن يحصل من بينية مُخْصِبة بين مكونات المنظومة، يصفها التقرير ب " أنها ظلّت عالقة ولم يتمّ الحسم فيها"، حتى لا يقول إن السياسات العمومية في قطاع التربية والتعليم فشلت في تحقيقها[41]. وفي موضع آخر يشير التقرير إشارة موفّقة إلى أن هندسة التكوين والمناهج الدراسية يجب أن تقوم على مبدأ الترابط و"تفاعل الموارد والمعارف وتكامل التخصصات" حتى نحظى بتلميذ قادر على حل مختلف المشكلات ومن زوايا متعددة، وحتى يُحَصّل معارف وكفايات تناسب عالم الغد[42] الذي سيمور بالكيف والمنهج لا الكمّ.

ب)- بينية تدبيرية: تنصرف إلى تجاوز السياسات القطاعية المعزولة، والتفكير في قضايا التربية والتكوين بحُسبانها مشروعا مجتمعيا يُهِمّ الأمة المغربية، وأكبر من أن يُحصر في قطاع وزاري واحد. ويجب أن تعمل القطاعات جميعُها على التدخّل المفيد لأجل النهوض بالمدرسة حتى تستحق وسْم "الجِدّة"[43].

---

[40]- المدرسة الجديدة تعاقد مجتمعي جديد من أجل التربية والتكوين؛ من الرؤية الاستراتيجية إلى الرهانات التربوية المستقبلية، تقرير رقم 2024/7، المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، دجنبر 2024م، ص.71، 72.

[41]- المدرسة الجديدة تعاقد مجتمعي جديد من أجل التربية والتكوين؛ من الرؤية الاستراتيجية إلى الرهانات التربوية المستقبلية، تقرير رقم 2024/7، مذكور، ص.9.

[42]- نفسه، ص.75.

[43]- نفسه، ص.15، 20، وتجلو هذه العرضانيةَ التدبيريةَ الخطاطةُ التوضيحية الواردة في الصفحة 21.

خاتمة:

ننتهي من خلال ما عرضنا له في ما تقدّم من مطالب إلى أن البينية سؤال مركزي ومهم، ويحوز وضعا اعتباريا في بنية المعرفة في بعديْها التخصصي الأكاديمي والمدرسي على حد سواء، وتجلو أهمية تكامل العلوم والتخصصات أمور جمّة نورد أهمها أدناه بإيجاز:

-إن البينية بينيات؛ بينية بين القطاعات الوزارية، يُفترض أن ينظر المسؤولون السياسيون والمدبرون القطاعيون بموجبها إلى التعليم بوصفه ورش المغرب الأول، وثابتا من ثوابته لا يقل أهمية عن ثوابت الدين والوحدة الترابية والملكية الضامنة لوحدة المغاربة. وبينية بين الأسلاك والمواد وثالثة تتعلق بمكونات المادة الواحدة يحسن بالأستاذ أن يفطن إليها ويتوسّلها في بناء شخصية المتعلم، بما يجعله مواطنا صالحا ناقدا مقتدرا على التفكير المرن والمركّب، والمؤهّل للتعامل مع الثورة الرقمية والانفجار المعرفي.

- إن ضعف القراءة الحرة لدى الأستاذ والتلميذ، وانعدام فضاءاتها في كثير من المؤسسات التعليمية المغربية يُعْدي على ضعف الوعي بتكامل المواد وتفاعلها، ويستتبع عدم استثمار التكامل استثمارا مخْصبا للعملية التعليمية والتفاعلات الصفية.

-إن تأخر العمل بمقاربة تكامل العلوم والتخصصات في قطاع التعليم بجميع أسلاكه يوقعه في ما يمكن أن ندعوه "بينية مهدورة" تفاقم الاختلالات وتطيل عمر الأزمة.

- إن مفهوم "المواد المتقاربة" يتصادى مع مفهوم البينية، ولكنها أكبر من أن تُحصر في إجراءات إدارية تدبيرية غاية غاياتها سد الخصاص الحاصل في بعض الموارد البشرية.

- إن إعمال البينية الناشئة بين المعارف والعلوم وتفعيلَها لا يُخاصم التخصصات، لا في بعدها الأكاديمي ولا في صنوِه التعليمي.

بيبليوغرافيا

الكتب والمقالات:

- ناصري، فَضيل، البينية أفقا لتدريس ناجع؛ دراسة نظرية تطبيقية، في مجلة ريناد، [ع.15]، يونيو 2025م.
- فلية، فاروق عبده، والزكي أحمد عبد الفتاح، معجم مصطلحات التربية لفظا واصطلاحا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، [د.ط]، 2004م.

الوثائق والمذكرات:

- التقييم الخارجي للمرحلة التجريبية لمشروع "المدارس الرائدة"، تقرير تقييمي (ملخص)، المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، 2024م.
- التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادتي التاريخ والجغرافيا بسلك التعليم الثانوي التأهيلي، وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي، نونبر 2007م.
- التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة التربية الإسلامية بسلك التعليم الثانوي التأهيلي، وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي، نونبر 2007.
- التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة الترجمة بسلك البكالوريا، وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي، نونبر 2007م.
- التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة التوثيق بالتعليم الثانوي التأهيلي الأصيل، وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي، نونبر 2007م.
- التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة الفلسفة بسلك التعليم الثانوي التأهيلي، وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي، نونبر 2007م.
- التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادة اللغة العربية بسلك التعليم الثانوي التأهيلي، وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي، نونبر 2007م.
- دليل تحضير وإجراء الدخول التربوي 2009/2008م، مديرية الاستراتيجية والإحصاء والتخطيط، وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي.

- قانون - إطار رقم 17-51 يتعلق بمنظومة التربية والتكوين والبحث العلمي، المادة 15، وهو قانون دخل حيز التنفيذ بدءا من 19 غشت 2019، تاريخ نشره في الجريدة الرسمية.
- المدرسة الجديدة تعاقد مجتمعي جديد من أجل التربية والتكوين؛ من الرؤية الاستراتيجية إلى الرهانات التربوية المستقبلية، تقرير رقم 2024/7، المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، دجنبر 2024م.
- المذكرة الوزارية رقم 25×031 موضوعها الإطار المرجعي لإعداديات الريادة لاختبار اللغة العربية للامتحان الجهوي الموحد لنيل شهادة السلك الإعدادي، بتاريخ 23 ماي 2025م.
- المذكرة الوزارية رقم 25×002 في شأن تأطير وتتبع إجراءات التقييم التربوي بإعداديات الريادة برسم السنة الدراسية 2025/2024 بتاريخ 3 يناير 2025م.
- من أجل مدرسة للإنصاف والجودة والارتقاء، رؤية استراتيجية للإصلاح 2015-2030، المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي.

✍ **يبوغر افيا**

- https// Dictionary.cambridge.org/ dictionary/ english/ interdisciplinary.
- Marie Boquillon, Clermont Gautier, Stève Bissonette, A.Derobertmasure, Enseignement explicite et devloppement des compétences: antinomie ou necessité?, http://dx.doi.org,2020.